ألفاظ المدح الديني في شعر السيد حيدر الحلي دراسة في ضوء نظرية الحقول الدلالية

د. كريم أميري / أستاذ مساعد بجامعة الأديان والمذاهب- قم.
alamirikarim@gmail.com
الباحث: أثير عبد الحمزة عباس الهلالي / طالب ماجستير جامعة الأديان والمذاهب- قم.
alhlalyathy٥٣@gmail.com

الملخص:

يسعى هذا البحث لدراسة دلالة ألفاظ المدح الديني في ديوان الشاعر العراقي السيّد حيدر الحلي؛ الذي يمتلك نتاج أدبي غني بالمدائح الدينية التي انمار بها شعره، فضلا عن الحقول الدلالية التي تضمنتها مدائح السيد حيدر الحلي، والتي تنضوي تحتها مجموعة ألفاظ تشترك برابط دلالي واضح منها: حقل الكرم الذي يشمل مجموعة ألفاظ جسّدها الشاعر في قصائده لبيان كرم وعطاء وجود آل البيت، تشريفا لآل البيت على الممدوحين التقليديين الذين يكيفون عطاءهم حسب رغباتهم ومصالحهم، وهذه الصفة بعيدة عن أخلاق ممدوحيه من آل البيت. ، ومن تلك الألفاظ (الجود، العطاء، السخاء). أما حقل الشجاعة، فقد جمع الألفاظ التي تبين شجاعة من توجه إليه المدح ومنها (الشبل، الأسد)، بالإضافة إلى الحقول المتنوعة، منها الوضاءة، وحقل الصفات المعنوية؛ لذلك جاء البحث على مطلبين الأول يشمل حقلي الكرم والشجاعة، والثاني يتضمن حقول متنوعة، لنصل إلى أهم نتائج البحث.

الكلمات المفتاحية: (المدح الديني، حيدر الحلي، الحقول الدلالية).

Words of religious praise in the poetry of Mr. Haider al-Hali
A study in the light of the semantic fields theory

Dr.. Karim Amiri/Carberdy University, alamirikarim@gmail.com
Researcher: Atheer Abdul Hamza Abbas / alhlalyathy٥٣@gmail.com

Abstracts:

This research seeks to study the significance of the words of religious praise in the collection of the Iraqi poet Sayyid Haider al-Hali. Who possesses a literary product rich in religious praises that enriched his poetry, in addition to the semantic fields included in the praises of Sayyid Haider al-Hali, under which there is a group of

words that share a clear semantic link, including: the field of generosity, which includes a group of words that the poet embodied in his poems to show the generosity and benevolence of the presence of the family of the house , in honor of the family of the family over the traditional praisers who adapt their giving according to their desires and interests, and this characteristic is far from the morals of those praised by the family of the family. And among those terms (goodness, giving, generosity). As for the field of courage, it collected the expressions that show the courage of the one to whom praise is addressed, including (the cub, the lion), in addition to the various fields, including ablution, and the field of moral qualities. Therefore, the research came on two requirements, the first includes the fields of generosity and courage, and the second includes various fields, so that we can reach the most important results of the research.

Keywords: (religious praise, Haider al-Hali, semantic fields).

المطلب الأول: حقلي الكرم والشجاعة

أولاً: حقل ألفاظ الكرم

تتميز ألفاظ كل شاعر بعلائق تربيته التي تجعل من اللغة عالماً حياً يخلق أبعاداً دلالية؛ لأن الكشف عن معاني الكلمات في النص الشعري كفيل برد الكلمة إلى سياقها واستعمالها أو دلالتها المعجمية.

الفخر

دلالتها المعجمية: «فخر: الفخرُ والفخر، مثل نهر ونهر، والفخر والفخار والفخارة والفخيرى والفخيراء: التمدُّح بِالخِصال والافتخار وعدُّ القديم؛ وقد فخر يفْخر فخراً وفخرةً حسنةً؛ عن اللّحيانِي، فهوَ فاخر وفخور، وكذلك افتخر. وتفاخر القومُ: فخر بعضُهم على بعض»

[١]. «الفخر والفخر والفخارة والفخيرى – التمدح بالخصال فخر يفخر فخراً فهو فاخر وفَخور وافتخر وتفاخر القوم – فخَر بعضهم على بعض وفاخرته – عارضته بالفخر وفخيرك – الَّذي يفاخرك وفاخرني ففخرته أفخره فخراً – كنت أفخر منِه وأفخرته عليه وفخرته أفخره فخراً – فضّلته»[٢]. وجاءت لفظة (الفخر) في تاج العروس للدلالة على ادعاء التعاظم، وتفاخر بعضهم على بعض أي تعاظم وتكبَّر[٣]. وكذلك جاءت دلالة (الفخر) في الصحاح للتعظّم والتكبر، وأفخرته على فلان أي فضلته عليه[٤].

دلالتها السياقية: كلمة الفخر استعملها السيد الحلي في ديوانه في مختلف الاستعمالات (٢٧مره). ومن تلك الاستعمالات هي في مدائحه لأهل البيت، للتباهي بمكارمهم وخصالهم الحميدة الذي قال يمدح الرسول(ص) في ذكرى المبعث النبوي:

فكفى (هاشم) فخراً أنها ولدته لمزاياها وعاءا
فلها اليوم انتهى الفخر به وله الفخر ابتداءً وانتهاءا[٥]

فقد استعمل الشاعر لفظة (الفخر) في هذه الأبيات ثلاث مرات دون أن يشعر المتلقي بالثقل والملل من ذلك التكرار اللفظي للكلمة، وكذلك استعماله التقفية بين كلمة (ابتداءً وانتهاءا) فهو يفخر ببني هاشم إن منهم نبي الرحمة وخاتم الأنبياء، الذي أشار إلى ذلك في قوله (فلها اليوم أنتهى الفخر)؛ استعان الشاعر في مدحه (بالتقسيم) الذي يعمل على« تجزئة الوزن إلى مواقف أو مواضع فيسكت فيها اللسان أو يستريح»[٦] فقد أحصى جميع صفات الممدوح الحميدة (علما، وتقى، وصلاحاً، وعفافا، وإباءا) وقد وظف حرف العطف (الواو) من خلال هذا التقسيم ، ليأتي بأروع الصفات عن الممدوح.

الجود:

دلالتها المعجمية: جاءت لفظة الجود للدلالة على المطر الغزير الواسع ومنه الحديث: «تركت أهل مكّة وقد جيدوا، والجود هو الكرم».[٧] وجاءت [جود] شيء جيد على فيعل، والجمع جِيادٌ وجَيائِدُ

بالهمز على غير قياس. والجود: المطر الغزير. تقول: جاد المطر جوداً فهو جائد، والجمع جود مثل صاحب وصحب.[٨]وقد جاء دلالة الجود في تاج العروس على (الجيد وهو ضد الرديء)[٩].

دلالتها السياقية: وردت لفظة الجود في أشعار السيد الحلي في استعمالات عدة ومنها مدائحه لأهل البيت للدلالة على سعة عطائهم والإشادة بخصالهم الحميدة، كذلك الخصال الحميدة للباذل في تعمير الصحن الشريف وهو (الحاج فرهاد ميرزا) وقال يمدح صحن الإمامين الكاظمين والباذل لتعميره وعدد أبياتها ١٠٤ قال فيها:

وغدا باسطاً به كفَّ جودٍ نَشرت ميّت الندى المقبورا
ودعا يا رجاءُ هاك بناني فاحتلبها لبونَ جُودٍ دَرورا[١٠]

رسم الشاعر من خلال هذه الأبيات صورةً لمعاني الكرم والجود لدى الممدوح فشبّه الكرم والجود بالمطر الغزير.

الـهِبة:

دلالتها المعجمية: جاءت في تاج العروس «ومن أَسمائه تعالى الوهّاب، وهو المنعم على العباد، وفي النهاية: وهو فِي صفته تعالى يدلّ على البذل الشامل والعطاء الدائم، بلا تكلّف، ولاغرض، ولاعوض»[١١]. وعرفها ابن الأثير بقوله: «العطية بلا غرض أو عوض، وإذا كان صاحبها مكثراً سُمي وهاباً لكثرة عطاياه، فهي تستخدم للمبالغة، وإذا تواهب القوم أي عطى بعضهم بعضا»[١٢]. وعرفها صاحب كتاب القاموس المحيط بقوله: «العطية والسحابة التي يقع غيثها حيث وقع»[١٣].

دلالتها السياقية: جاءت منها صيغة الجمع في شعر الحلي، وهي(هبات) للدلالة على العطايا المتحققة، وهي تحرير الرقاب من تلك الهبات والعطايا المتحققة فهي كالسحاب تقع حيث وقعت، فقد شبه شاعرنا عطايا الإمامين الكاظمين بالسحابة التي تحمل الغيث، واستعماله للتشبيه هو للدلالة على كثرة العطايا واستمرارها.

الذي قال فيهم وفي الباذل لتعميرهم:

كم رقابٍ أرقَّها رُقاب حرَّرتها هباتُه تحريرا[١٤]

الشمائل:

دلالتها المعجمية: عرفها الخليل «ورجل كريم الشمائل، أي: في أخلاقه وعشرته والشَّمأل: لغة في الشَّمال وهي ريحٌ تهبُّ عن يسار القبلة، وقد شملت تشملُ شمولاً. وغديرٌ مشمول: شملته ريحُ الشَّمال[١٥]. وجاءت لفظة (الشمائل) في لسان العرب للدلالة على الأخلاق الكريمة وحسن المخالطة «ورجُل مشمول: مرضِيُّ الأَخلاق طيبُها»[١٦].

دلالتها السياقية: استعملها الشاعر في مختلف الاستعمالات ثلاثُ مرات، ومن تلك الاستعمالات في مدائحهِ للإمام المهدي المنتظر في ذكرى مولده، وراح الحلي يعدد الصفات والطبائع الحميدة لدى الممدوح، فهي تعني الخصال والأخلاق والصفات الحميدة فهو كريم النفس، الذي عبر عن تلك الصفات التي ورثها من جده في قصيدته التي قال فيها:

عفُّ السرائر طاهرُ الأزر عذُب الشمائل طيّبُ

عمّارُ محراب العبادةِ قد نشر الإلهُ به أبا ذر[١٧]

كذلك ورد في قصيدته تناص قرآني في قوله:

ولما أتت فيه مسلّمةً بالأمرِ حتّى مطلع الفجر

فالشاعر ذكر الفرحة التي غمرت الناس وهي باقية حتى ظهوره الشريف، مبيناً منزلة الممدوح عند المسلمين، إذ يشير الشاعر في مضمون كلامه بأنّ ليلة القدر ما حبيت بالشرف العظيم، والقدر الرفيع إلا ساعة ولادته الشريفة، مستلهما في ذلك فكرته هذه من قوله تعالى: ﴿.. ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر تنزّل الملائكةُ والروحُ فيها بإذن ربّهم من كلّ أمر سلامٌ هي حتّى مطلع الفجر﴾[١٨].

البحر:

دلالتها المعجمية: «والبحر: الماء الكثير، ملحا كان أَو عذبا وقد غلب على الملح حتى قل في العذب. وجمعه أبحر، وبحور، وبحارٌ»[١٩]. وسمي البحر بذلك لاتساعه، وجمعه بحور وأبحر

وبحار، ومنه قيل للفرس السريع الجري (فرسٌ بحرٌ)؛ ومنها يقال للدم شديد الحمرة (باحر وبحراني)، وبحران بالتثنية موضع من بلاد نجد يقع بين البصرة وعُمان[٢٠].

دلالتها الساقية: شبّه الشاعر الممدوح، الإمام المهدي المنتظر، الذي من كراماته أطلق لسان الأخرس، بالبحر لكثرة واتساع جوده وكرمه، بل يرى في ممدوحه أنه أفضل من البحر، وأوسع عطاءً.

واستعمل السيد الحلي لفظة البحر في مختلف الاستعمالات (١٢ مرة) وفي مدائحه لآل البيت (مرتين)، حيث قال في ممدوحه:

هو البحر لكن طما بالعلوم على أنّه بالندى زاخر
على جوده اختلف العالمون على أنّه بالندى زاخر[٢١]

الجاه:

دلالتها العجمية: «الجاهُ: المنزلة عند السُّلطان، وتصغيره: جويهةٌ. ورجلٌ وجيهٌ: ذو جاهٍ[٢٢]. وذكرها ابن فارس في مجمل اللغة (الجاه بمعنى قدر الرجل وشرفه ومكانته)»[٢٣]. والجاهُ: المنزلة، مقلوب عن وجه، وإن كان قد تغير بالقلب فتحول من فعل إلى فعل فإن هذا لا يستبعد في المقلوب والمقلوب عنهُ[٢٤].

دلالتها السياقية: استعمل السيد الحلي لفظة (الجاه) من خلال مدحه الإمام الحجة المنتظر والتوسل به إلى الله لدفع الوباء عن الناس، فهو يستغيث به ويستصرخ طالباً منه ذلك، فهو صاحب جاه ومنزلة، ويطلب من كرمه وكراماته، حتى وصفه برحمة الإله من كثر كرمه وكراماته لما أصاب الناس من وباء وضاقت بهم ليستصرخ به من خلال قصيدته التي قال فيها:

أيضيقُ عنّا جاهُكم؟ ولقد وَسِعَ الوجودَ، وكنتم سببه
الغوثَ أدركنا فلا أحدٌ أبداً سواكَ يغيثُ مَن

استعمل الشاعر حرف النداء (يا) في قوله (يا رحمة الله اسبقي غضبه) والمنادى هو الإمام المهدي المنتظر، كان طلب الشاعر والتوسل بالإمام المهدي المنتظر لما يتمتع به من كرم وجود ومكارم ورثها من أهل البيت عليهم السلام.

ثانياً: ألفاظ الشجاعة:

الشبل

دلالتها المعجمية: شبل: الشَّبلُ: ولد الأسد، والجميعُ: أشبالٌ، وأدنى العدد: أشبل، وأشبل عليه، أي: عطف عليه[٢٦]. (شَبَلَ) الشِّينُ والباءُ واللّامُ أَصلٌ صحيحٌ يدلُّ على عطفٍ وودّ. يقال لكلِّ عاطفٍ على شيءٍ ووادٍّ لَهُ: مشبلٌ. ومنه اشتقاق الشّبل، وهو ولَد الأسدِ؛ لعطف أبويه عليه. ويقالُ لبوةٌ مُشبلٌ، إذا كان معها أولادها[٢٧].

دلالتها السياقية: وقد استعملها السيد الحلي من خلال مدحهِ للإمام الحسين وأخيهِ أبي الفضل العباس عليهما السلام من خلال مناداته إياهما، حيث قال:

أشبلَي عليّ ومن إن دعو ثُ في كلّ خطبٍ أجابا
أرى الدهر- من حيث لا تُنفِذ الأيامَ والصبرَ رجاءا!!

السيف:

دلالتها المعجمية: «السِّينُ والياءُ والفاءُ أَصلٌ يدلُّ على امتدادٍ في شيءٍ وطولٍ. من ذلِك السَّيفُ، وسمي السيف باسمه نسبة لطوله[٢٩]. وجاء لفظ (السيف) في معجم المحكم، وجمعه أسياف وأسيف؛ وهو الذي يُضرب به، وقال ابن جني «استافوا: تناولوا السيوف والسيف بفتح السين سيبُ الفرس»[٣٠].

دلالتها السياقية: استعمل الحلي لفظة (السيف) في مدائحه للإمام المهدي المنتظر، من خلال قصيدته التي أنظمها في مدح الرسول والإمامين العسكريين التي بين من خلالها صفات الممدوح وشجاعتهِ، وأشار إلى الامام المهدي المنتظر الذي سوف يملأ الأرض عدلاً بسيفه، وهو يعبّر عن

انتظاره لذلك اليوم الذي ترخص فيه الأرواح فداءً لنصرة صاحب العدل والحق وهذا يدل على روح الشجاعة لدى الممدوح الذي قال فيه:

ونرى يا (قائمَ الحقِ) سيفها منك يدُ الله انتضاءا
أ فهل نبقى كما تُبصرنا تُنفِذ الأيامَ والصبرَ رجاءا!!
لا رأى الرحمةَ من قال قلَّت الروحُ لمولاها فداءا[٣١]

المطلب الثاني: حقول متنوعة

ألفاظ الوضاءة:

يتضمن الألفاظ التي استعملها الشاعر لإبراز صفات الممدوح ومن تلك الألفاظ هي (الشمس، البدر، البهاء).

الشمس:

الدلالة المعجمية: «والشَّمسُ، والجمعُ القليلُ أشمس، ثم شموس، وإنما تجمعُ على مطالعها في كلِّ يومٍ. ويقال: أشمس يومنا»[٣٢].

دلالتها السياقية: حظي هذا اللفظ باهتمام الشاعر الذي استعمله في مدائح ومراثي أهل البيت التي وظفها لغرض المدح، فقد قرن الشاعر هذا اللفظ بأهل البيت في مواضع مختلفة، منها ما قاله في مدح الرسول بذكرى ولادته، جاءت اللفظة لتدل على رفعة محل الممدوح الذي قال فيه:

قد توارت فيك أقمارُ هدىً ودَّت الشمس لها تغدو
أبداً تزدادُ في العليا سنى وظهوراً، كلّما زيدت خفاءا

ومنها ما استعملها في مدح الإمامين الكاظمين الذي شبه وجه الإمام بالشمس يشع ضياءا ونورا، الذي جعله رمزاً للإشراق والطمأنينة، وجاء اللفظ مستعارا لوجه الممدوح الذي يغلب الشمس بنوره.

وأخي الشمس طلعت تُبهِت الشمـ سَ إذا وجههُ استهلَّ منيرا[٣٣]

البدر:

الدلالة المعجمية: «البدر: القمر ليلة البدر وهي أربع عشرة، وسمي بذلك لأنّه يبادر بالطُّلوع عند غروب الشمس. وتجمع على بدور»[٣٤]. وجاءت لفظة البدر لإحدى صفات القمر وأسماؤه، ومنها قال سيبويه: إبهار القمر لا يتكلم به؛ وذكر في ذلك حديث ابن السكيت الذي أشار إلى جمال القمر وإبهاره للكواكب[٣٥].

دلالتها السياقية: فقد استعملها السيد الحلي من خلال مدحه للإمام المهدي المنتظر في ذكرى ولادته الذي رمزَ من خلاله إلى الصباحة وطلاقة الوجه، مفضلاً ذلك الوجه على بدر السماء في تمامه، كذلك رمز من خلاله لسمو المحل والمكانة وشرف النسب، واصفاً يوم مولده ومهنئا بذلك المولد السيد حسن الشيرازي حيث قال:

وبطلعةٍ منه مباركةٍ حيّى بوجهك طلعةَ البدر
وكساك أفخرَ خلعةٍ مكثتْ زمناً تُنمّقُها يدُ الفخر[٣٦]

البهاء:

الدلالة المعجمية: معناه الحسن ومنه نقول رجلٌ بهي، والبهو البيت المقدم أمام البيوت، والمباهاة تعني المفاخرة؛ والبهاء ما يملأ العين بروعه وحسنه.[٣٧] والفرق بين البهاء والجمال هو أن البهاء يقال لجهارة المنظر. ومنها يقال رجل بهيّ. أما عن الجمال فقد قَالَ ابْن دُرَيْد: «بهي يبهى بهاء من النبل؛ وَقَالَ الزّجاج من الْحسن»[٣٨].

دلالتها السياقية: استعمل الشاعر لفظة (البهاء) مرّتين من خلال مدائحه لآل البيت؛ ومنها ما قاله في مدح الرسول بذكرى المبعث النبوي (٢٧رجب) الذي قال:

أيُّ بشرى كست الدُنيا بهاءا قُم، فهنّي الأرض فيها
طَبّقَ الأرجاء منها أرجٌ عطرَّت نفخةُ ريّاه

بيّن الشاعر من خلال قصيدته المبعث النبويّ، الذي كان مطلقاً للنور والذي أعلن عنه جبريل، وشاء الله أن يختم رسالاته السماوية برسول الإنسانية، ليكون الرسول في هذا اليوم سيّد الأنبياء والمرسلين، فقد جاءت لفظة (البهاء) للدلالة على الحسن، والبهاء، والنبل، والمفاخرة بالرسول الذي ختم به الرحمن الأنبياء والمرسلين؛ مبيّنا سعادته التي لا توصف لتلك المناسبة، ألا وهي مبعث سيّد الكائنات وخاتم الأنبياء.

ألفاظ الصفات المعنوية:

العِلم:

الدلالة المعجمية: «العلم نقيض الجهل، وما علمت بخبرك، وأعلمته بكذا أي أشعرته وعلمته به، والله العالم العليم العلام وهي من أسماء الله الحسنى، والأعلم هو الشخص الذي انشقت شفته العليا»[٤٠]. قال سيبويه «أعلمت كآذنت وعَلَّمت كأذنت وخبَرت، قال أَبو علي، وكلاهما متعدٍّ، قال، وسمِّي العلم علماً لأنَهُ من العلامة – وهي الدِّلالة والأمارة ومنه معالم الأَرض والثَّوب»[٤١].

وقد تكررت لفظة العلم في الاستعمال القرآني مثلا في قوله تعالى: ﴿شهِد اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلّا هو والملاَئكَةُ وأُولُوا العلمِ قآئماً بِالْقسْطِ لا إِلَه إِلّا هو العزيزُ الحَكيمُ﴾[٤٢]. فقد اصطفى الله الملائكة وأهل العلم بهذه الخصوصية.

دلالتها السياقية: استعملها السيد الحلي في مدائحه لأهل البيت مرّتين، كذلك استعملها في أساليبه الأخرى مثل الرثاء والتهاني والتخاميس، فقد استعملها في مدح الإمام المهدي المنتظر الذي قال:

ما العلمُ منتحلاً لديه وإنّما ... وَرِثَ النبوَّة وحيَها وكتابها
ولدتكَ أمُّ المكرماتِ مبرءاً ... ممّا يُشينُ من الكرامِ جنابها[٤٣]

أراد الشاعر أن يضفي على الممدوح إحدى الصفات التي ورثها عن طريق آل بيت الرسول ألا وهي صفة العلم، وقد قصر تلك الصفة بشخص الممدوح لأنه امتدادٌ حقيقي لتلك العائلة، وقداستعمل الشاعر أسلوب القصر بـ (إنما) للدلالة على مستوى الرفعة والشموخ لعلو منزلة

الممدوح. فالشاعر يمدح فيه الإرث الذي ناله من آل البيت والمنزلة الرفيعة، التي حباهم الله بهم في الشفاعة، وهذه مناقب تسالم عليها المسلمون في آل البيت، كما أن هذا الأسلوب هو امتداد لمدح البيت النبوي الذي لم يتكلف به الشاعر وقد أدرج المفردات الدالة على تمايز بيت الممدوح عن سواه ومنها لفظة (العلم) التي هي مدعاة للفوز والاعتداد، إذ لا أحد من الناس، يفاخر من بيدهم ثوابه وعقابه بتفويض من الله يوم الحساب.

الخلق:

الدلالة المعجمية: تعني الخصائص والطبائع مثل قوله تعالى: ﴿وإنّكَ لَعلَى خُلُقٍ عظيمٍ﴾[٤٤]. «وله خلق حسن وخليقة، وهي ما خلق عليه من طبيعته، وتخلّق بكذا، وخالق الناس ولا تخالفهم. وهو خليق لكذا: كأنما خلق له وطبع عليها»[٤٥]. «والخلق بِضمين السجيةُ والخلاقُ مثل: سلامٍ النَّصيب وخلُق الثوب بالضم إذا بلي فهو خلقٌ بفتحتين وأَخلق الثّوب بالأَلِف لغةٌ وَأَخلقته يكون الرباعِيُّ لازماً ومتعدّيا»[٤٦].

دلالتها السياقية: استعمل الشاعر لفظة الخلق للدلالة على العادات والخصال الحميدة التي ورثها الممدوح، فقد جعل الأخلاق لدى الممدوح من الماء لرقتها في قوله:

الخلقُ من ماءٍ لرقّته حلمُ مفطورٌ من الصخر
تبري طُلى الاعدام أنمُلُه بصنايع من مَعدن التبر[٤٧]

ألفاظ الطبيعة:

البحر:

الدلالة المعجمية: هو المكان الواسع كثير الماء، ومنه استبحر الخطيب بمعنى اتسع له القول، وتبحر في العلم اتسع علمه؛ أما قولهم: «ودم بحراني: أسود، نسب إلى بحر الرحم وهو عمقه. وامرأة بحرية: عظيمة البطن، شبهت بأهل البحرين وهم مطاحيل عظام البطون»[٤٨]. ومن استعمال

(البحر) قوله تعالى: ﴿أَلم تر أَنَّ اللَّهَ سخَّر لَكُم ما في الأَرض والفلك تجرِي في البحر بأَمره ويُمسكُ السَّماء أَن تقع على الأَرض إِلّا بإِذنِه إِنَّ اللَّهَ بالنَّاس لرءُوفٌ رحِيمٌ﴾[٤٩].

دلالتها السياقية: استعمل الشاعر لفظة (البحر) للدلالة على العطاء الكثير والكرم الواسع لدى الممدوح، الذي جعله كالبحر واسع وكثير العطاء، فقد عمد الشاعر إلى تلك الألفاظ لإبراز صفات الممدوح وتصويره بسعة الأفق، إذ يصل كرمه وعطاءه إلى ما موجود في البحر. جسد الشاعر التشبيه بين الممدوح (والبحر) ومنها قوله في مدح صحن الإمامين الكاظمين والباذل لتعميرهما:

لا تقس جودَ كفّه بالغوادي ... وندى كفّه يمدُّ البحورا
بل من البحرِ تستمدُ الغوادي ... كم عليه تطفَّلت كي تميرا[٥٠]

السحاب:

الدلالة المعجمية: معناه الغيم سواء كان فيه ماء أم لم يكن فيه ماء ومفردها سحابة «وسمّي السَّحابُ لانسحابه في الهواء. والسَّحبُ: شدَّة الأكل والشُّرب، رجلٌ أُسحُوب: أَكولٌ شروبٌ. ورجل متسحِّب: حريص على أكل ما يوضَع بين يديه»[٥١]. وعبّر به القرآن الكريم عن المطر منها قوله تعالى: ﴿أَلم تَر أَنَّ اللَّهَ يُزجي سحاباً ثمَّ يُؤلِّفُ بينهُ ثمَّ يجعلُهُ رُكَامًا فترى الودقَ يخرجُ من خلاَله وينزل من السَّمَاءِ من جبالٍ فيها من برَدٍ فيُصيبُ بهِ من يشَاءُ ويصرفهُ عن مّن يشاءُ يكادُ سنا برقهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾[٥٢].

دلالتها السياقية: جاءت اللفظة في شعر السيّد الحلي في سياق التعجب من عطاء الممدوح، الذي شبه عطاءه بالسحاب الذي يحمل الامطار لشموله واتساعه، وقد قال في مدح الامام الحجة المنتظر ومهنئا السيد حسن الشيرازي:

وجدتكَ أبسط في المكارم راحةً ... بيضاء يستسقي السحاب
ورأتك أنورَ في المعالي طلعةً ... غرّاء لم تَنُبِ النجومُ منابها[٥٣]

ألفاظ الملك والسيادة:

وردت في قصائد السيد الحلي التي مدح بها أهل البيت ألفاظ تدلّ على الملك والسيادة لمكانة ورفعة الممدوح ومن تلك الألفاظ (الملك، السيادة، الإمامة).

الملك:

الدلالة المعجمية: «الشيء وامتلكه وتملّكه، وهو مالكه وأحد ملاّكه، وهذا ملكه وملك يده، وهذه أملاكه»[٥٤]. أما في المجاز فإنّ لفظة (ملك) تدل على «ملك المرأة: تزوّجها، وأملكها: زوّجها، وأملكها أبوها. وكنا في إملاك فلان وملك نفسه عند الغضب»[٥٥]. وجاءت لفظة (الملك) في معجم المحكم للدلالة على الاحتواء والقدرة على الاستبداد بالشيء، فهو ملكه يملكه ملكا[٥٦].

أما في القرآن الكريم، فقد وردت لفظة الملك (١٤ مرة) وهذا التكرار في اللفظة تأكيد على عظمة الله وقدرته؛ ومنها قوله تعالى: ﴿تبارَك الَّذِي بيَده الملكُ وهُو على كلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾؛ كذلك في قوله تعالى: ﴿يُسبِّحُ للَّه ما في السَّماوَاتِ وما في الأَرضِ لهُ المُلكُ ولهُ الْحَمدُ وهو على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ﴾[٥٧].

دلالتها السياقية: ذكر السيد الحلي لفظة (الملك) في مدائحه لآل البيت لمكانتهم المرموقة فهم يتصفون بصفات ويملكون صفة العظمة والتفرد بها، فقد وصف الإمامين الكاظمين بـ (الملك) التي ورثها ممدوحيه عن أب وجدّ، كذلك ورث الممدوح الشجاعة التي عبّر عنها الشاعر بـ (حدّ السيف) في قوله:

مَلِك عن أبٍ وعن حدّ ورث الملكَ تاجهُ والسريرا
تحسن الشمس أن تشبَّه فيه لو أنارت عشيَّةً أو بكورا[٥٨]

السّيادة:

الدلالة المعجمية: وتعني الزعامة، ومفردها سيد وسائد وهو رئيس القوم وسيدهم وجمعها رؤساء[٥٩]. و«السِّيَادَةُ: الشرفُ، يُقَال {سَاد} يَسُود {سُوداً،} وسُؤْدُداً {وسِيادَةً،} وسَيْدُودَةً، هذِه قد ذَكَرَها الجوهريُّ وَغَيره»[٦٠].

دلالتها السياقية: ذكرها الشاعر في مدائحه للتعبير والدلالة عن الصفات التي يتصف بها الممدوح، ومن تلك الصفات هي الزعامة، فهو سيد قومه التي ورثها من جده الرسول المصطفى الذي كان سيد قريس التي أشار إليها الشاعر في قوله:

سيدُ الرسلِ جميعاً أحمد مَن بعلياهُ أتى (الذكر)

كذلك أشار إلى أنّ سيادته ليس على الناس البسطاء، بل هو سيدٌ على الأسياد. وجاءت دلالة لفظة (السيادة) إشارة إلى الإمام المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً من خلال زعامته التي ورثها من أبيه الإمام الحسن العسكري الذي ورثها من أجداده. كذلك أشار الشاعر إلى نشأة الإمام المهدي المنتظر في سامراء، حيث قال عن نشأته وسيادته التي ورثها:

نشأت (بسامراء) أنملهُ ديماً تعمُّ الأرض بالقطر
وكأَنّه فيها وصفوتُهُ أهلٌ النهى والأوجهِ

ألفاظ القدرة:

المغيث:

الدلالة المعجمية: «غوَّثَ الرجل: قال واغوثاهُ. والاسم الغَوْثُ والغُواثُ والغَواثُ. قال الفراء: يقال أجاب الله دعاءه وغواثه، والغيثُ: المطر. وقد غاثَ الغيثُ الأرض، أي أصابها. وغاث الله البلاد يغيثُها غيثاً»[٦٣]؛ فالغوث هو للنصرة والغيث للمطر. أما الاستغاثة فهي طلب الغوث والمساعدة للخلاص من الشدّة أو نداء من يعين على دفع البلية.[٦٤]

دلالتها السياقية: استعمل الشاعر لفظة (الغوث) للدلالة على عموم القدرة لدى الممدوح، بعد ما أصاب الناس من ظروف قاسية وقاهرة، وتسلط الحكام، فلم يجد من يندبه سوى الإمام المهدي المنتظر، لذلك خاطب الشاعر الامام المهدي بـ لفظة (الغوث) لإدراك الناس مما يقع عليهم من ظلم في قوله الذي مدحه ثم استصرخه وندبه وتوسل به إلى الله، فقد شبه الشاعر بالمكان الذي يضيق على الناس ويتسع، وحذف المشبه به وهو (المكان) ورمز للمكان بشيء من لوازمه وهو

(الضيق) بعد إن ضاقت على الناس وانقطعت بهم السُبل؛ فقد سلك الشاعر سلوكاً عفوياً لرسم الصورة للمتلقي من خلال الاستعارة حيث قال:

أيضيقُ عناّ جاهُكم؟ ولقد وَسِعَ الوجودَ، وكنتم سببه
الغوثَّ أدركناّ فلا أحدٌ أبداً سواكَ يغيثُ مَن

ألفاظ الأخلاق:

الفضيلة:

الدلالة المعجمية: «والفضيلة: الدرجة الرفيعة في الفضل. أبو زيد: الفضال والتّفاضُل: التّماري في الفضل وقد فاضلني ففضلته أفضله فضلاً: أَي كنت أفضل منهُ»[٦٦]. وفي قوله تعالى: ﴿... وفضّلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾[٦٧] تأويل الآية: إن الله فضل ابن آدم على الكثير ممن خلق[٦٨]. وجاءت لفظة الفضيلة خلاف النقيصة، وفضلته على غيره إذا حكمت له بذلك الفضل، ورجل مفضال أي رجلٌ كثير الخير[٦٩].

دلالتها السياقية: استعمل الشاعر لفظة (الفضيلة) في مدحه للإمام المهدي المنتظر، فقد وصف ممدوحيه وهم أهل البيت بأنهم أصحاب الفضائل بل وأرباب لكل فضيلةٍ، وهذا الشيء متجذر فيهم وإنهم توارثوا الفضائل، وهي تأتي ضمن دائرة إبراز الصفات والفضائل لدى أهل البيت في قوله:

صَدعوا عن الربّ الجليل فغدوا لكلّ فضيلةٍ أربابها[٧٠]

تبين أنّ كل حقل دلالي قد تكون من عنصرين: ١- معجمي. ٢- مفهومي؛ وتعد كل كلمتين في الحقل الدلالي الواحد عيّنة إذا نتج من تحليلهما عناصر مشتركة[٧١]، تكون فيما بينها علاقات دلالية مثل (الترادف، التضاد، الاشتمال، التنافر)؛ ومن تلك الأمثلة على العلاقات الدلالية: الترادف في (الكرم والجود) فكلا اللفظين يخص المعطي إذ إن «الكرم: هو إعطاء الشيء عن طيب نفس قليلاً كان أو كثيرا، والجود: سعة العطاء ومنه سمي المطر الغزير الواسع»[٧٢]. أما علاقة التنافر فمن الأمثلة عليها (بحر وسحاب). ومن أمثلة علاقة الاشتمال في مدائح السيد حيدر الحلي (الشمس والقمر).

الخاتمة:

بعد هذه الدراسة لألفاظ المدح الديني والدنيوي، وكذلك المدح سواء كان مباشراً أو غير مباشر، والتي جهد الباحث أن تكون قد كشفت عن القيم الفنية في شعر الشاعر السيد حيدر الحلي، قد توصل البحث إلى جملة من النتائج والتي أبرزها:

النتائج

١- تضمّن غرض المدح في شعر الشاعر حقولاً دلاليةً متنوعة تهدف إلى إبراز الأخلاق والصفات الحميدة والشجاعة ومن تلك الحقول هي (الكرم، الشجاعة، الصفات المعنوية، الأخلاق، ألفاظ الملك والسيادة).

٢- كونت ألفاظ المدح لديه علاقات دلالية اشتملت على (الترادف، التضاد، الاشتمال، التنافر).

٣- انماز المدح الديني بتشابك وتعالق كبيرين بين المجالات المعرفية والمصادر المتنوعة التي استقى منها الشاعر ألفاظه.

٤- ساهم الشاعر في إيقاد الحسّ الثوري لدى المجتمع، ليكون واحداً من رواد النهضة الأدبية.

٥- استعمل الشاعر أسلوب النداء في مدائحه، وجاءت لنداء القريب والبعيد

٦- اتّسمت أغلب ألفاظه بالدّقة والوضوح، ومنها الألفاظ التي عبر فيها عن ممدوحيه.

الهوامش:

١. ابن منظور، *لسان العرب:* ج٥، ص٤٨

٢. ابن سيدة، *المخصص*: ج٣، ص ٣٩٧

٣. الزبيدي، *تاج العروس*: ج ١٥، ص ٣٠٥

٤. الجوهري، *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*: ج٢، ص٧٧٩

٥. الحلي، *الديوان*: ج١، ص٢٩

٦. المجذوب، *المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها*: ج٢، ص٢٧٢

٧. ابن الأثير، *النهاية في غريب الحديث والأثر*: ج١، ص٣١٢

٨. الجوهري، *الصحاح*: ج٢، ص٤٦١

٩. الزبيدي، *تاج العروس*: ج٧، ص٥٢٦

١٠. الحلي، *الديوان*: ج١، ص٣٩

١١. الزبيدي، *تاج العروس*: ج٤، ص٣٦٤

١٢. ابن الأثير، *النهاية في غريب الحديث*: ج٥، ص٢٣١

١٣. الفيروز آبادي، *القاموس المحيط*: ج١، ص١٤٣

١٤. الحلي، *الديوان*: ج١، ص٣٩

١٥. الفراهيدي، *العين*: ج، ص٧

١٦. ابن منظور، *لسان العرب*: ج ١١، ص ٣٦٩

١٧. الحلي، *الديوان*: ج١، ص٤٥

١٨. القدر، الآية: ٣

١٩. ابن سيدة، *المحكم والمحيط الأعظم*: ج٣، ص٣١٩

٢٠. الفيومي، *المصباح المنير*: ج١، ص٣٦

٢١. الحلي، *الديوان*: ج١، ص٤٣

٢٢. الفراهيدي، *العين*: ج٤، ص٦٦

٢٣. ابن فارس، *مجمل اللغة*: ج١، ص٢٠٥

٢٤. ابن سيدة، *المحكم والمحيط الأعظم*: ج٤، ص٣٩٦

٢٥. الحلي، *الديوان*: ج١، ص٣١

٢٦. الفراهيدي، *العين*: ج٦، ص٢٦٤

٢٧. ابن فارس، *مقاييس اللغة*: ج٣، ص٢٤٢

٢٨. الحلي، *الديوان*: ج١، ص٣١

٢٩. ابن فارس، *مقاييس اللغة*: ج٣، ص١٢١

٣٠. ابن سيدة، *المحكم والمحيط الأعظم*: ج٨، ص٥٨٤

٣١. الحلي، *الديوان*: ج١، ص٣٨

٣٢. العسكري، *التلخيص في معرفة أسماء الأشياء*: ص٢٥

٣٣. الحلي، *الديوان*: ج١، ص٣٠و٤٠

٣٤. الفراهيدي، *العين*: ج٨، ص٣٤

٣٥. ابن سيدة، *المخصص*: ج٢، ص٣٧٦

٣٦. الحلي، *الديوان*: ج١، ص٤٤

٣٧ . الفراهيدي، *العين*: ج٤، ص٩٧؛ الجوهري، *الصحاح*: ص٣٨

٣٨. العسكري، *الفروق اللغوية*: ص٢٦٣

٣٩. الحلي، *الديوان*: ص٢٨

٤٠. الفراهيدي، *العين*: ج٢، ص١٥٢

٤١. ابن سيدة، *المخصص*: ص٢٥٨

٤٢. آل عمران، الآية: ١٨

٤٣. الحلي، *الديوان*: ج١، ص٣٣

٤٤. القلم، الآية: ٤

٤٥. الزمخشري، *أساس البلاغة*: ص٢٦٤

٤٦ . الفيومي، *المصباح المنير*: ج١، ص١٨٠

٤٧. الحلي، *الديوان*: ج١، ص٤٦

٤٨. الزمخشري، *أساس البلاغة*: ص٤٧

٤٩. الحج، الآية: ٦٥

٥٠. الحلي، *الديوان*: ج١، ٣٨

٥١. الفراهيدي، *العين*: ج٣، ص١٥١

٥٢. النور، الآية: ٤٣

٥٣. الحلي، *الديوان*: ج١، ص٣٤

٥٤. الزمخشري، *أساس البلاغة*: ج٢، ص٢٢٧

٥٥. الزمخشري، *أساس البلاغة*: ج٢، ص٢٢٧

٥٦. ابن سيدة، *المحكم والمحيط الأعظم*: ج٧، ص٥٤

٥٧. الملك، الآية: ١؛ الإسراء، الآية: ٤٤

٥٨ الحلي، *الديوان: ج١ ، ص٣٨*

٥٩. ابن سيدة، *المخصص*: ص ٢٣٧

٦٠. الزبيدي، *تاج العروس*: ج٨، ص٢٢٤

٦١. الحلي، *الديوان*: ج١، ص٢٩

٦٢. الحلي، *الديوان*: ج١، ص٤٥

٦٣. الجوهري، *الصحاح*: ص٢٨٩

٦٤. مجمع اللغة العربية، *المعجم الوسيط*: ص٦٦٥

٦٥. الحلي، *الديوان*: ج١، ص٣١

٤. ابن سيدة، *المخصّص*: ج٤، ص٤٤

٦٧. الإسراء، الآية: ٧٠

٢. ابن سيدة، *المحكم والمحيط الأعظم*: ج٨، ص ٢٠٦

٣. الخليل، *العين*: ج٧، ص٤٤

٤. الحلي، *الديوان*: ج١، ص٣٢

٧١. عزوز، *أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية*: ص١٢

٧٢. العسكري، *الفروق اللغوية*: ص١٧٤

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- إبن الأثير، مجدالدين، أبو السعادات، المبارك بن محمد، الجزري. (١٩٧٩م). *النهاية في غريب الحديث والأثر*. تحقيق طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي. بيروت: المكتبة العلمية.

٢- إبن سيّدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل. (١٩٩٦م). *المخصص*، تحقيق خليل إبراهيم جفال. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٣- ـ. (٢٠٠٠م). *المحكم والمحيط الأعظم*، تحقيق عبد الحميد هنداوي. بيروت: دار الكتب العلمية

٤- ابن فارس. (١٩٧٢م). *مقاييس اللغة*. تحقيق: عبد السلام هارون. بيروت: دار الجبل.

٥- ـ. (١٩٨٦م). مجمل اللغة. تحقيق زهير عبد المحسن سلطان. بيروت: مؤسسة الرسالة.

٦- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على. (١٤١٤هـ). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

٧- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد. (٢٠٠١م). تهذيب اللغة. تحقيق محمد عوض مرعب. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٨- الجوهري، إسماعيل بن حماد. (١٩٨٧م). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. بيروت: دار العلم.

٩- الحلي، حيدر بن سليمان. (١٩٥٠م). الديوان. نشر وتصحيح وتعليق علي الخاقاني. النجف الأشرف: المطبعة الحيدرية

١٠- الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبدالرزّاق الحسيني أبو الفيض. (د.ت). تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين. الكويت: دار الهداية للطباعة والنشر.

١١- الزمخشري، محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي. (١٩٨٨م). *أساس البلاغة*. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٢- عزوز، أحمد. (٢٠٠٢م). أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية. دمشق: اتحاد الكتّاب العرب.

١٣- العسكري، أبي هلال الحسن بن عبدالله. (١٩٩٦م). *التلخيص في معرفة أسماء الأشياء*، تحقيق عزة حسن. دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.

١٤- ـــ. (د.ت). *الفروق اللغوية*، تحقيق: محمد إبراهيم سليم. القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع.

١٥- الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (٢٠٠٣م). العين. تحقيق مهدي المخزومي. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٦- الفيروز آبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. (٢٠٠٥م). *القاموس المحيط*. تحقيق محمد نعيم العرقسُوسي. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

١٧- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري. (د. ت). *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*. بيروت: المكتبة العلمية.

١٨- المجذوب، عبد الله الطيب. (١٩٥٥م). المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها. مصر: مطبعة البابي الحلبي.

١٩- مجمع اللغة العربية. (١٩٩٨م). *المعجم الوسيط*. القاهرة: دار الدعوة.